هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة
مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك
قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها اي بغير
عمد وزيناها اي بالكواكب وما لها من فروج اي شقوق وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء
والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن كريم يبتهج به اي يسر به تبصرة
اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي تذكرة لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب ونزلنا
من السماء ماء مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شيء وهو المطر فانبتنا به اي بذلك الماء جنات اي بساتين وحب
الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات لها طلع اي ثمر يطلع
ويظهر ويسمى طلعا قبل ان ينشق نضيد اي متراكب بعضه على بعض في اكمامه فاذا انشق وخرج من اكمامه فليس
بنضيد رزقا اي جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا الكلأ والعشب كذلك الخروج اي من
القبور احياء بعد الموت قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة
قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع وهو ابو كرب تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم
قيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذكر فرعون لانه هو المكذب المستحق لقومه فلهذا اختص بالذكر دون قومهم كل كذب الرسل
فحق وعيد اي كل هولاء المذكورين كذبوا رسولهم فحق وعيدا اي وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيد للرسل بالنصر
افعيينا بالخلق الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة
ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث قوله
عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمنا اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من
اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان اجزاء الانسان وابعاضه تحجب بعضها بعضا ولا
يحجب عن علم الله شيء وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم
في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين
وعن الشمال يعني احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات
قعيد اي قاعد لان كل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ
من قول اي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه الا لديه رقيب اي حافظ عتيد اي حاضر اينما كان سوى وقت الغائط
وعند جماعة فانهما يتأخران عنه فلا يجوز لاحد ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه
وهو على تلك الحال حتى يكتبان ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا
ما له اجر وثواب وعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف
عنفقته وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين
على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب
على عقله بالحق اي بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه
امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه
تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي ذلك اليوم الذي

وعد

وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت اي وفي ذلك اليوم كل نفس معها سائق اي يسوقها الى المحشر وشهيد اي يشهد عليها
بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس
لقد كنت في غفلة من هذا اي من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك اي الذي كان على سمعك وقلبك وبصرك في
الدنيا فبصرك اليوم حديد اي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تنكره في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك
الى لسان الميزان وقال قرينه هذا ما لدي اي عندي عتيد اي معد محضر وقيل يقول هذا الملك الذي وكلتني به من ابن آدم
قد احضرته واحضرت ديوان عمله القيا في جهنم اي يقول الله تعالى لقرينيه وقيل هذا امر للسائق والشهيد كل كفار اي
شديد الكفر عنيد اي ظالم لا يقر بتوحيد الله مناع للخير معتد مريب اي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله الها آخر
فالقياه في العذاب الشديد يعني النار قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ربنا ما اطغيته قيل
هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا
ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته ولكن كان في ضلال بعيد اي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه
يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي ما زدت عليه
وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله تعالى لا تختصموا
لدي اي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل خصامهم مع قرنائهم وقد قدمت اليكم بالوعيد اي على القرآن وانذرتكم
على السن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر ما يبدل القول لدي اي لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل لاملأن
جهنم وقضيت عليكم بما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه
لاني علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل
قولي وما انا بظلام للعبيد اي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسيء وانقص من احسان المحسن
قوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلأت بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملأها من الجنة والناس
وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول يعني جهنم هل من مزيد يعني تقول قد امتلأت
ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون
السؤال وهو قوله قد امتلأت قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملأها شيء فتقول الست قد
اقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس في من مزيد ق
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش
وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله
لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابي هريرة نحوه ولا يظلم الله من خلقه احدا **فصل** هذا الحديث من مشاهير
احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب الجمهور وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم
في تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها وعلى معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب
الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل
المراد بالقدم التقدم وهو شائع في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل قدم بعض
المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من تسمى بهذه
التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض اظهر التأويلات انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد عن
صرفه عن ظاهره لقيام الدليل العقلي القطعي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله اعلم قوله قط قط اي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)